تعليقات القراء على الرسالة

الى الأستاذ الرافعي

للأستاذ علي الطنطاوي

سيدي :

أعِرْني هذا القلم السحري الذي تكتب به . . . لأصف لك الشعور الذي خامرني وإخواني هنا ، حين قرأنا فصلك الأخير : قصة زواج . . . فما أدري والله كيف أصفه لك

وقد والله قرأناه مثنى وثلاث ورباع ، وقد والله قطعنا القراءة مرة وثانية وثالثة ، لأننا لم نكن نملك نفوسنا أن تفلت من قيود المادة ، وتنفذ من بين السطور الى عالم أسمى وأوسع ، تطير في أرجائه لتلحق بهذه البلاغة العلوية التي تسمو بتاليها وتسمو . . . حتى تدنو به من حدود العالم الكامل — عالم القرآن — وتريه تحقيق ما قاله فيها سعد « بطل المشرق » : كأنها تنزيل من التنزيل !

وقد والله خرجنا منها وكأننا لم نعرف عبد الملك أمير المؤمنين ، وسعيداً سيد التابعين ، إلا الساعة . . . فاذا أنت قد نقلت الملك والجلال من ذاك الى هذا ، واذا مقالة منك واحدة ، تغلب عبد الملك على جيوشه وأمواله وملكه ، ثم تجرده منها ، ثم تعرضه جداً هزيلاً ؛ وتمنح سعيداً على فقره وتواضعه ، أسمى العظمة والهيبة والجلال . . . حتى يقول هذا : « أنا . . . . . . » فترددها ملائكة السماء . ويقول ذاك : « أنا » فتستحي أن تعيدها شياطين الجحيم !

وأقسم لقد سمعت هذه القصة وقرأتها ، وحفظتها ، وحدثت بها . وانحدرت بين أذني ورأسي ولساني عشرين مرة ، ثم كأني لم أسمع بها إلا الآن . . . وكأني كنت فيها في ليل مظلم ، فطلعت عليّ مقالتك شمساً ساطعة ؛ عرفت معها كيف تكون خصيّات الليل لآلئ النهار . . . فما بالك بمن لم يسمع باسم سعيد ؟ وما بالك بمن لا يعرف في الدنيا أدباً ، إلا الأدب الذي يسقط علينا من باريس أو لندن أو بونس ايرس ؛ ولا يدري من البلاغة إلا أنها التي تلوح بين سطورها رءوس البنادق ، وأفواه المدافع ، وأجنحة الطيارات ؟

ومثل أولئك كثير ، فقد عابوك بالغموض ، ورموك بالابهام ، وادعوا أن كتبك لا تفهم ، ومعانيك لا تساغ ، فلما ظهر أن في الغرب شاعراً فذاً مذهبه الغموض يتخذه ويدعو له ويدافع عنه ، أصبح الغموض فناً من فنون الأدب تتمحل له الأسباب وتتلمس له الدواعي ! فما الذي جعل سيئة الرافعي حسنة بول ڤاليري ، إلا أن ذاك من فرنسا وهذا من مصر ؟

أما إن هذا الاعجاب بالغرب اذا انتقل من الشيوخ الى الشبان لم يكن إلا كفراً بالشرق وإلحاداً بالعقائد الشرقية ، وجهلاً باللغة الشرقية ، وخروجاً من الجلدة الشرقية . . . وإن عندنا في دمشق ندوة أرادت أن تعيب مجمعنا الأدبي ، فلم تجد أبلغ في العيب من قولها : إن المجمع ثقافته شرقية ، بل لقد (ضبطتنا متلبسين بالجريمة) ، وأشهدت علينا أننا كنا نحمل كتباً صفراء . وكان الذي نحمله « شرح المواقف للسيد » . ومثل هؤلاء لا يقرأون الأدب العربي إلا اذا صيغ هذه الصياغة

* * *

وعندنا أن هذه القصة بكل ما قرأنا في العربية من قصص ما يزال أكثر أصحابها ينشئون أدباً فرنسياً أو انجليزياً بحروف عربية

وعندنا أنك إذا استكثرت من هذا النوع غطيت على خيام أهل الجديد ودورهم المبنية من الطين والقش ، بقصر شامخ من الصخر يثبت ما ثبت الدهر

وعندنا أن مائة قصة من مثل هذه القصة ، تنشئ الأدب العربي إنشاء جديداً ، وتخرج من الشيخ الهم الفاني ، الذي ينتظر الموت شاباً قوياً بهياً ، جاء يستأنف الحياة بحنكة الشيخوخة . وتجعل من الأدب العربي أدبين : أدب أربعة عشر قرناً ، وأدب الرافعي

* * *

ولست والله أمدحك لأتملقك وأتزلف إليك ، وما بي محمد

[البقية في أسفل الصفحة التالية]